

مساهمة المستشرقين في الأدب العربي

د. عبد السلام. اي ب

مقدمة

سجلت اللغة العربية حضوراً واضحاً وإنجازات ملموسة في مجتمعات غير عربية، ويظهر ذلك جلياً من خلال عدد من العالم الحضارية والثقافية التي أفرزتها الثقافة العربية في حياة الأمم الأخرى ومجتمعاتهم، فقد كان لقيام الدولة الإسلامية في أوروبا مثلاً في قرون خلت أثره الفاعل في إحياء الثقافة العربية في تراثها الحضاري، ومكن الإسلام من انتشار اللغة العربية والسعي نحو تعلمها لمحاولة قراءة القرآن والسنة النبوية. وأولت بدورها مختلف الدول في العالمين الغربي والشرقي على السواء اهتماماً باللغة العربية، فخصصت مبالغ طائلة لنشرها، وأثرت اللغة العربية في الشرق والغربية وأثرت على الأمم المختلفة.

في العصر الحديث انعكس الغرب على دراسة التراث العربي والإسلامي، فالمستشرقين قاموا بجمع المخطوطات العربية والإسلامية وفهرستها وحققوا العديد منها بأعلى المقاييس العلمية المتعارف عليها حينئذ ونشروها نشرًا علمياً خالصاً وترجموا الآلاف من هذا التراث إلى اللغات العالمية، فضلاً عن التوجيه إلى الأخذ بالمنهج الحديثة في البحث والدراسة وعرفوا الآخرين بحضارتنا وتراثنا ومآثرنا وقدموا للفكر الإسلامي أشياء كثيرة نافعة لا يمكن تجاهلها.

وتأسست بعد الحرب العالمية الثانية عدة كراسي لتدريس اللغة العربية والأدب والحضارة والتاريخ والفلسفة الإسلامية منها: مجمع فينا الكنسي الذي أقر إنشاء كراسي لدراسة اللغة العربية في كل من باريس وبولونيا في عام ١٣١٢م، وتم إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كامبردج عام ١٦٣٦م. وقام المستشرقون بتدريس كتب العرب في الجامعات الأوروبية كمؤلفات ابن سينا وابن رشد وصارت تدرس في تلك الجامعات حتى نهاية القرن الخامس عشر.

نشأة اللغة العربية .

عام؛ إذ يُؤرخ أقدم النقوش الثمودية بالقرن الخامس قبل الميلاد، ويُؤرخ أحدثها بالقرن الرابع أو الخامس الميلاديين، وترجع النقوش اللحيانية والصَّفوية إلى زمن يقع في الفترة ذاتها.

أما أقدم نصٍّ وجد مكتوباً بالعربية الفصيحة فهو نقش التَّمارة الذي يرجع إلى عام ٢٢٨م، ولكنه كان مكتوباً بالخط النَّبطي. ويُلاحظ في ذلك النصُّ التطوُّر الواضح من الثمودية واللحيانية والصَّفوية إلى العربية الفصيحة. وأما أقدم نصٍّ مكتوب بالخط العربي فهو نقش زَبَد الذي يرجع إلى سنة ٥١٣م، ثم نقشاً حَرَّان وأم الجَمال اللذان يرجعان إلى عام ٥٦٨م. وقد لوحظ أن الصورة الأولى للخط

اللغات السَّامية العَرَبية، ويشمل هذا الفرع شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها والحيشة. وقد نشأت العربية الفصيحة في شمالي الجزيرة، ويرجع أصلها إلى العربية الشمالية القديمة التي كان يتكلم بها العدنانيون. وهي مختلفة عن العربية الجنوبية القديمة التي نشأت في جنوبي الجزيرة وعُرفت قديماً باللغة الحَميريَّة وكان يتكلم بها القحطانيون.

وتعدُّ النقوش القليلة التي عُثِرَ عليها الدليل الوحيد لمعرفة المسار الذي سارت فيه نشأة العربية الفصيحة. ويمكن القول من خلال تلك النقوش إن أسلاف العربية الفصيحة هي: الثمودية واللحيانية والصَّفوية، وتشمل معاً فترة تقارب ألف

اللغة العربية هي إحدى اللغات العالمية الخمسة، وتتجلى عظمتها أنها لغة القرآن الكريم التي قال فيها (إننا أنزلناه قرآناً عربياً لقوم يعقلون)

وهي لغة الضاد التي قال فيها المتنبي في معرض الفخر بأجداده:

وبهم فخر كل من نطق الضا
دَ وعوذ الجاني وغوث الطريد
ولكنَّ اللهجة العامية طغت على ألسن
الناس، حتَّى أننا وجدنا البعض ممن هو
من بني جلدتنا قد دعا البعض إلى إلغاء
التكلم باللغة الفصحى.

العربية إحدى اللغات السَّامية، وهي تنتمي إلى الفرع الجنوبي من

ياءً صغيرة تحته، وللضمة وأواً صغيرة فوّهة، وكان يُكرّر الحرف الصغير في حالة التنوين. ثم تطوّرت هذه الطريقة إلى ماهو شائع اليوم.

أما إجماع الحروف (تتقيطها) فتم في زمن عبد الملك ابن مروان، وقام به نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني، كما قاما بترتيب الحروف هجائياً حسب ماهو شائع اليوم، وتركبا الترتيب الأبيجدي القديم (أبيجد هوژ)

وحطّت العربية خطواتها الأولى نحو العالمية في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري، وذلك حين أخذت تنتقل مع الإسلام إلى المناطق المحيطة بالجزيرة العربية. وفي تلك الأمصار، وأصبحت العربية اللغة الرسمية للدولة، وأصبح استخدامها دليلاً على الرقي والمكانة الاجتماعية. وظلّت لغة البداية حتى القرن الثاني الهجري الحجّة عند كل اختلاف. وكان من دواعي الفخر للعربي القدرة على التحدّث بالعربية الفصحى كأحد أبناء البداية. أما سكّان الأمصار الإسلامية، فقد بدأت صلتهم بلغاتهم الأصلية تضعف شيئاً فشيئاً، وأخذ بعضهم يتكلّم عربية مؤلّدة متأثرة باللغات الأم. وقد كانت منطقة الشام أولى المناطق تعرّباً. ويلاحظ اختلاف لهجات أهل الأمصار في العربية تبعاً لاختلاف القبائل العربية الوافدة، ومن هنا كان اختلاف لهجات الكوفة والبصرة والشام والعراق ومصر بعضها عن بعض.

وقبيل نهاية العصر الأموي، بدأت العربية تدخل مجال التأليف العلمي بعد أن كان تراثها مقصوراً على شعر وأمثال على ألسنة الرواة.

الطريق إلى غرب إفريقيا والسودان، ومن شمال إفريقيا انتقلت إلى أسبانيا وجُزر البحر المتوسط.

كما كان للعربية أثرٌ عميق في لغات الشعوب الإسلامية؛ فتأثيرها واضح في الفارسية والأردية والتركية والبشتو ولغة الملايو واللغات واللهجات الإفريقية. ومن غير الممكن الآن معرفة لغة أي بلد إسلامي وأدبه ومناحي تفكيره معرفة جيّدة دون الإحاطة الجيّدة بالعربية. وحين أخذ الأوروبيون ينهلون من الحضارة الإسلامية في الأندلس دخلت ألفاظ عربية كثيرة إلى اللغات الأوروبية، ففي الإنجليزية مثلاً ألفاظ عديدة ترجع إلى أصل عربي، كالجبر، والكحول، وتعريفة، ومخزن، وعود، وغير ذلك كثير.

ظلّت العربية تُكتَب غير مُعجّمة (غير منقوطة) حتى منتصف القرن الأول الهجري، كما ظلّت تُكتَب غير مشكولة بالحركات والسكّات. فحين دخل أهل الأمصار في الإسلام واختلط العرب بهم، ظهر اللحن على الألسنة، وخيف على القرآن الكريم أن يتطرّق إليه ذلك اللحن. وحينئذ توصل أبو الأسود الدؤلي إلى طريقة لضبط كلمات المصحف، فوضع بلون مخالف من المداد نُقطة فوق الحرف للدلالة على الفتحة، ونقطة تحته للدلالة على الكسرة، ونقطة عن شماله للدلالة على الضمة، ونقطتين فوّهة أو تحته أو عن شماله للدلالة على التنوين، وترك الحرف الساكن خالياً من النقط. إلا أن هذا الضبط لم يكن يُستعمل إلا في المصحف. وفي القرن الثاني الهجري وضع الخليل بن أحمد طريقة أخرى، بأن جعل للفتحة ألفاً صغيرة مضطجعة فوق الحرف، وللکسرة

العربي لا تبعد كثيراً عن الخط النبطي، ولم يتحرّر الخط العربي من هيئته النبطية إلا بعد أن كتَب به الحجازيون لمدة قرنين من الزمان. وظلّت الكتابة العربية قبيل الإسلام مقصورة على المواثيق والأحلاف والصكوك والرسائل والمعلقات الشعرية، وكانت الكتابة آنذاك محصورة في الحجاز. ويُعدّ القرن السابق لنزول القرآن الكريم فترة تطوّر مهمّة للعربية الفصيحة، وصلت بها إلى درجة راقية. ويدل على ذلك ما وصل إلينا على ألسنة الرواة من الشعر والنثر الجاهليين.

اللغة العربية بعد ما نزل القرآن الكريم؛

كان نزول القرآن الكريم بالعربية الفصحى أهم حدث في مراحل تطورها؛ فقد وحد لهجاتها المختلفة في لغة فصيحة واحدة قائمة في الأساس على لهجة قريش، وأضاف إلى معجمها ألفاظاً كثيرة، وأعطى لألفاظ أخرى دلالات جديدة. كما ارتقى ببلاغة التراكيب العربية. وكان سبباً في نشأة علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والأصوات وفقه اللغة والبلاغة، فضلاً عن العلوم الشرعية، ثم إنه حقّق للعربية سعة الانتشار والعالمية.

لقد حملت العربية الفصيحة القرآن الكريم، واستطاعت من خلال انتشار الإسلام أن تبدأ زحفها جنوباً لتحل محلّ العربية الجنوبية القديمة، ثم عبّرت البحر الأحمر إلى شرقي إفريقيا، واتجهت شمالاً فتصّدت على الأرامية في فلسطين وسوريا والعراق، ثم زحمت غرباً فحلّت محلّ القبطية في مصر. وانتشرت في شمال إفريقيا فحلّت لهجات البربر، وانفتح لها

مع ذلك، مفهومة فهمًا تامًا في كل أنحاء العالم العربي.

إن اللغة العربية أداة التعارف بين ملايين البشر المنتشرين في آفاق الأرض، وهي ثابتة في أصولها وجذورها، متجددة بفضل ميزاتها وخصائصها. إن الأمة العربية أمة بيان، والعمل فيها مقترن بالتعبير والقول، فلغة في حياتها شأن كبير وقيمة أعظم من قيمتها في حياة أي أمة من الأمم. إن اللغة العربية هي الأداة التي نقلت الثقافة العربية عبر القرون، وعن طريقها وبوساطتها اتصلت الأجيال العربية جيلًا بعد جيل في عصور طويلة، وهي التي حملت الإسلام وما انبثق عنه من حضارات وثقافات، وبها توحد العرب قديمًا وبها يتوحدون اليوم ويؤلفون في هذا العالم رقعة من الأرض تتحدث بلسان واحد وتصوغ أفكارها وقوانينها وعواطفها في لغة واحدة على تنائي الديار واختلاف الأقطار وتعدد الدول. واللغة العربية هي أداة الاتصال ونقطة الالتقاء بين العرب وشعوب كثيرة في هذه الأرض أخذت عن العرب جزءاً كبيراً من ثقافتهم واشتركت معهم - قبل أن تكون (الأونيسكو) والمؤسسات الدولية - في الكثير من مفاهيمهم وأفكارهم ومثلهم، وجعلت الكتاب العربي المبين ركناً أساسياً من ثقافتها، وعنصراً جوهرياً في تربيتها الفكرية والخلقية

المستشرقون

الاستشراق: دراسات أكاديمية يقوم بها علماء غير مسلمين للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة وشرعية وثقافة وحضارة وتاريخ نظم وثروات وإمكانات، سواء أكانت هذه الشعوب تقطن شرق

المسلمين والعرب هي هدم وحدة الدين واللغة. وقد حاولوا هدم وحدة اللغة بإحلال اللهجات العامية محلّ العربية الفصيحة، وبدأت تلك الدعوة في أوائل الثمانينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، فأخذ دعواتهم يروجون لفكرة كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها عامة الناس، وطَفَقَ بعضُهم يضع قواعد للهجة أبناء القاهرة، واقترح آخرون كتابة العربية الفصيحة بالحروف اللاتينية. إلا أن كل تلك الدعوات أخفقت إخفاقاً تاماً.

ولكن كان من آثار تلك الهجمات الاستعمارية ضَعُفُ شأن العربية في بعض البلاد العربية، وخاصة دول الشمال الإفريقي، واتخاذ اللغات الأوروبية وسيلة لدراسة العلوم والفنون الحديثة فيما يُعرف بمدارس اللغات وفي أغلب الجامعات. وقد بدأت في البلاد العربية حركة نشطة للتعريب تتمثل في اتجاهين: الأول، تعريب لغة الكتابة والتخاطب في بلاد الشمال الإفريقي، والثاني تعريب لغة العلوم والفنون على مستوى البلاد العربية كلها. وقد نجحت في الاتجاه الأخير سوريا والعراق، وأحرزت بلاد عربية أخرى بعض النجاح. وتحذو القائمين بالجهد في هذا الاتجاه الثقة بأن العربية التي وسَّعت الحضارة الإسلامية في الماضي لن تكون عاجزة عن أن تَسَعَّ الحضارة الحديثة.

والعربية الفصيحة اليوم هي لغة الكتابة، وتُستخدم لغةً للحديث في المحافل العلمية والأدبية، وفي الإذاعة والتلفاز، وأحياناً في المسرحيات والأفلام، ولها سحرٌ عجيب إذا صَدَرَتْ عَنْ جِيدها. أمّا لغة التخاطب العامي فلهاجاتٌ عديدة في العالم العربي. لكن اللغة العربية الفصيحة،

شهد العصر العباسي الأول مرحلة ازدهار الحضارة الإسلامية في مشرق العالم الإسلامي وفي مغربه وفي الأندلس، وبدأت تلك المرحلة بالترجمة، وخاصة من اليونانية والفارسية، ثم الاستيعاب وتطويع اللغة، ثم دخلت طُورُ التأليف والابتكار. ولم يُعدَّ معجم لغة البادية قادراً وحده على التعبير عن معاني تلك الحضارة، فحمل العلماء على عاتقهم مهمة تعريب مصطلحات غير عربية، وتوليد صيغ لمصطلحات أخرى، وتحميل صيغ عربية دلالات جديدة لتؤدّي معاني أرادوا التعبير عنها. وبهذا استطاعت العربية التعبير عن أدقّ المعاني في علوم تلك الحضارة الشامخة وآدابها.

وفي مطلع ذلك العصر، بدأ التأليف في تعليم العربية، فدخلت العربية مرحلة تعلّمها بطريق الكتاب، وكان هذا هو الأساس الذي قام عليه صرّح العلوم اللغوية كالنحو والصرف والأصوات وفتة اللغة والبلاغة والمعاجم.

وعلى الرغم من انقسام العالم الإسلامي إلى دويلات في العصر العباسي الثاني، واتخاذ لغات أخرى للإدارة كالفارسية والتركية، فإن اللغة العربية بقيت لغة للعلوم والآداب، ونَمَت الحركة الثقافية والعلمية في حواضر متعدّدة، كالقاهرة وحلب والقيروان وقرطبة.

اللغة العربية في العصر

الحديث:

حين ضَعُفَ شأن المسلمين والعرب منذ القرن السادس عشر الميلادي، وتعرّضت بلادهم للهجمات الاستعمارية، رأى المستعمرون أن أفضل وسيلة لهدم تماسك

طمعا في النيل من القرآن الكريم وفي محاولة لصرف المسلمين عن دينهم، وذلك حين وجه المستشرقون اهتمامهم إلى ترجمة القرآن الكريم ابتداء من القرن الميلادي الثاني عشر؛ حين " قام بطرس الموقر (ت ١١٥٦) رئيس رهبان كلوني بجهود كبيرة حتى ظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية في عام ١١٤٢م، والتي قام بها العالم الإنجليزي أوف كيتون.

وقد نشط المستشرقون في هذا المجال إلى حد بعيد؛ فقد تعددت ترجمات معاني القرآن الكريم بلغات شتى، وقام المستشرقون بعمل مقدمات لها وضعوا فيها تصورهم للإسلام، وقد كان لهذه المقدمات فائدة أيضا؛ إذ أنها نبّهت المسلمين إلى فهم الأوروبيين الخاطئ للإسلام.

وقد أحرز بعض المستشرقين الأوائل قصب السبق في هذا المضمار؛ فهذا هو رايموندس لولوس Lullus يعلم من تجاربه الخاصة علم اليقين بأن المسلمين لن يقتنعوا بصدق الدعوة المسيحية بالسهولة التي يتصورها بعض المسيحيين، لإيمان المسلمين بجديّة عقيدتهم. ومع ذلك اعتقد بإمكانية اختراق طوق هذا الإيمان بشرط توفر عاملين اثنين هما:

١. أن يجيد المبشر الكاثوليكي اللغة العربية بطلاقة، لأنها لغة القرآن.
 ٢. أن يتحلّى هذا المبشر بالصبر خلال الحوار مع المسلمين والجدل مع فقهاءهم.
- ولذلك فقد شرع Lullus في العمل على تحقيق الشرط الأول، فتعلم اللغة العربية على يد خادم موريتاني مدة تسع

نشطت حركة الترجمة من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية وأشهر المترجمين الكاهن جير برت الذي قصد الأندلس للدراسة وجيرالد الكريموني الذي أقام في طليطلة ونقل إلى اللاتينية فلسفة الكندي والمجسطي لبطليموس. وميخائيل سكوتس الاسكتلندي الذي درس في باريس وأقام في طليطلة ورحل إلى باليرمو عاصمة صقلية حيث لقي استقبالا من ملكها النورماندي فريديريك الثاني وقد اشتهر بتبحره في الفلسفة والفلك والسحر والتنجيم، ترجم العديد من كتب ابن سينا وابن رشد.

إذن يمكن القول انه خلال فترة القرون الوسطى كان هناك اتجاهين رئيسيين:
الاتجاه الأول: اتجاه ديني لاهوتي متعصب وحافظ ينظر إلى الإسلام بكرهية وبغض.

الاتجاه الثاني: كان بالمقارنة مع الاتجاه الأول اقرب غالى الموضوعية، ونظر إلى الإسلام بوصفه مهذا للعلوم والطب والفلسفة والفلك والرياضيات.

المستشرقون ركزوا في دراساتهم على اللغة العربية في محاولة منهم لتمكين المستشرقين من التعامل مع الإنسان العربي ولم يهدف " أصحاب هذه المحاولات تعريف بعض الدوائر الأوروبية ب " فقه اللغة العربية " بل قصدوا بها شرح مضمون نصوص القرآن لفئات مسيحية أوروبية محدودة الإطار، ولجمع المادة الفكرية الضرورية لحرب الإسلام والمسلمين والعرب، وذلك في العصر الذي تصدر فيه العثمانيون الدفاع عن الإسلام. ومن هنا كان تركيزهم على العربية

البحر الأبيض أم الجانب الجنوبي منه، وسواء أكانت لغة هذه الشعوب العربية أم غير العربية كالتركية والفارسية والأوردية وغيرها من اللغات، لأهداف متنوعة ومقاصد مختلفة.

إنّ الذين جاءوا لدراسة الشرق كانوا أفراداً متفاوتين ، فمنهم من جاء بلباس عسكري أو غير عسكري ، أو بصفة أطباء أو معلمين ، لكنهم في حقيقة الأمر قساوسة كان هدفهم التبشير بالدين المسيحي ، وكانوا يتردّدون بكثرة على لبنان وسورية ومصر .

المستشرقون والأدب العربي

إن أدب أوروبا في القرون الوسطى حول الإسلام وضع في غالبته من طرف رجال الدين المسيحيين، الذين استندوا غالى المؤلفات الجدلية اللاهوتية الدفاعية للمسيحيين الشرقيين، وترجمات مفكرهم وشهادات بعض المسلمين، وكانت المعلومة تتزحزح من سياقها الأصلي وتقدم بطريقة مشوهة أو بطريقة غير واعية في أحيان أخرى، وكان الدافع وراء هذه الدراسات هو الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والمسيحي في الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة عامة إلى اشتغال الأوروبيين بالأبحاث حول علوم العرب وثقافتهم، وقد نشط اللاهوتيون ورجال الدين في ذلك الوقت ضد الإسلام وراحوا ينشرون الأكاذيب حول الرسول صلى الله عليه وسلم وحول القرآن الكريم، وزعموا أن الإسلام قوة شريرة.

وخلال هذه الفترة أيضا كانت هناك بالمقابل أيضا جهود موضوعية اهتمت أكثر بعلوم العرب ومعارفهم، حيث

تعيشها جماهير المنطقة جراء مخلفات الحقبة الاستعمارية المباشرة، وحقبة ما بعد الاستعمار؛ حقبة وكلاء المستعمرين التي تعد أسوأ من سابقتها لتواتر المشاكل على المجتمعات من كل لون، وجدير بالذكر أن هذه الكنائس ليست أمريكية أو أوروبية بالضرورة، إذ قد تكون كورية جنوبية أو غير ذلك لكنها تمثل امتدادا لتلك، على نحو ما تناقلته وكالات الأنباء عند احتجاج الكوريين الجنوبيين في أفغانستان مؤخرا، بل إن من هؤلاء الكوريين من يأتي لبعض الدول العربية لتعلم اللغة العربية، ومنها فلسطين ليعمل جهازا في "التبشير".

وربما التقى الفريقان في أهدافهما العامة؛ وهي المتمثلة في إحكام السيطرة على الشرق الإسلامي، والمنطقة العربية على وجه الخصوص، بل فلسطين وما والاها بشكل أخص، لما لها من مكانة وخصوصية عند أهل الأرض قاطبة، وتمكينا للدولة العبرية من الاستمرار في البقاء؛ باعتبارها تمثل ملتقى أهداف الفريقين: اللاهوتية والسياسية.

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م، وما شنته الولايات المتحدة من هجمة كيدية على البلاد الإسلامية، تبنت الإدارة الأمريكية، ولا سيما إدارة بوش الابن إلى أهمية اللغة العربية وغيرها من اللغات لمكافحة "الإرهاب" الذي تمثل أدواته الكبرى لو كانت تعلم. ومن هنا أوعز بوش إلى إدارته لتشكيل الهيئة الوطنية للغات، وبادرت بعض المؤسسات الأمريكية إلى تعليم العربية، وإيفاد المبعوثين، وأسست لهذا الغرض مركز دراسات العربية في الخارج (CASA)، ملحقا بجامعة تكساس، وغير

جديدة للغة العربية في جامعتي كمبريدج وأكسفورد، وزاد هذا الاهتمام في القرن التاسع عشر بفضل ما نشره علماء حملة نابليون، فأُنشئ كرسي للعربية في جامعة لندن.

وفي مرحلة تاريخية لاحقة، أصبح الدافع الديني معلنا ومهيمنًا على النشاط الاستشراقي الأوروبي، فتجد على سبيل المثال أن قرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبريدج ببريطانيا عام ١٩٣٦ قد أشار صراحة إلى الهدف الديني وإن شاركته أهداف أخرى، حيث نص خطاب الجامعة المذكورة الخاص بإنشاء الكرسي على ما يلي: ".....ونحن ندرك أننا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد بتعريض جانب كبير من المعرفة للنور، بدلا من احتباسه في نطلق هذه اللغة التي نسعى لتعلمها، ولكننا نهدف أيضا إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وإلى تعجيل الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات.

الدراسات الاستشراقية المعاصرة واللغة العربية

شهد العالم المعاصر توجه قطاعات عريضة من الباحثين للدراسات الاستشراقية، وإقبالا واسعا على تعلم اللغة العربية، وجل ذلك يأتي استمرارا لما كان عليه الأمر من قبل، ويتوجبه مباشر من فريقين هما النظام الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، وبعض الكنائس التي تشغل في مجال ما يسمونه "التبشير"، مستغلين الظروف الصعبة التي

سنوات متواصلة. ثم أفتح الكاردينال "يعقوب الأول" أن يقيم مركزا لتثقيف المبشرين المسيحيين بالعلوم اللاهوتية وتعليمهم اللغة العربية. وبذلك يكون أول من ربط دراسة اللغة العربية في أوروبا ب"علم اللاهوت" هذا العلم الذي خيم عليها لعدة قرون لاحقة من الزمن، وترك أثره السلبي على دراستها، الأثر الذي لم تستطع أن تتخلص منه إلا بعد جدل طويل حاد بين قلة من المستشرقين أمنت بقفه اللغة العربية المجرد وبين كثرتهم، التي لم تر في اللغة العربية إلا تابعا للغات شرقية أخرى وخاصة العبرية من بينها.

"ويؤكد دوجال Dujal على هذه الأهداف التبشيرية حين فسّر تشجيع البابوات على إدخال العربية إلى أوروبا "وهو نشاط استشراقي" ليكون هؤلاء البابوات قادرين على دفع هجوم الفلاسفة، أو لنشر المسيحية في الشرق، كما أكد على أن ملوك فرنسا كانوا يساعدون الإكليروس رجال الدين في هذا النوع من الأفعال.

وفي بريطانيا، بدأ الاهتمام باللغات الشرقية بعامة، والعربية بخاصة لدوافع دينية كذلك، "تمثلت في ضرورة الوقوف على هذا الدين، وحماية المسيحيين منه، وإضعافه في الوقت نفسه، وكذلك الاستفادة من العربية وعلاقتها باللغات السامية لفهم الكتاب المقدس وتفسيره مع ما يتفق والمذاهب البروتستانتية؛ مما جعل كبير الأساقفة "لود" يسعى لإنشاء كرسي للغة العربية في جامعة أكسفورد، كما أسس السير توماس آدمز كرسيًا للدراسات العربية في جامعة كمبريدج عام ١٦٢٢م. وازدهر الاهتمام البريطاني بالشرق في مطلع القرن الثامن عشر، وأنشئت كراسي

أشعار وجمع منتخبات شعر ابن الفارض؛ وألف (كورت ١٩٤٥م) كتابا عن شاعرية ابن زيدون . ودرس وكتب (بيرشه) بحثا حول المعري؛ أما (بروفتسال) فقد تتوعت دراسته، فألف في معظم مجالات الأدب العربي، وحظي الشعر الأندلسي باهتمامه، فكتب حول شعراء مالمقه في القرن العاشر . وهناك دراسات حول لامية العجم للطغرائي (مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد الأصبهاني ت٥١٢هـ)، ولامية ابن الوردي (القاضي زين الدين، أبو حفص، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس) وشرح قصيدة كعب بن زهير قام بها شارل رو ، وعن أبي فراس الحمداني وشعره، والمنتبي فقد قام بدراسة شعرهما (كانار). في حين نشر (بيريس) ديوان كثير عزة، ونشر كتابا حول الشعر الفصيح في اسبانيا، وكتابا عن الشعر في فاس في عهد المرابطين والموحدين.

أما بلاشير فقد كتب عن المنتبي: المنتبي الشاعر العربي الإسلامي، وعلق على ديوانه كما كتب عن معظم شعراء عصر النهضة الذين عاصروهم أمثال إبراهيم اليازجي، وأحمد شوقي وإبراهيم وله دراسة "مجل شاعرية العرب"، كما قام هُوَارْت (١٢٧٠ هـ = ١٢٤٥ هـ = ١٨٥٤ - ١٩٢٧ م) بشرح ديوان سلامة بن جندل.

أما في المجالات المختلفة، فقد ألف المستشرقون كثيرا من الكتب التي تحدثت عن الأدب العربي، واللغة العربية، منها دراسة (البارون دي ساسي) حول كلية ودمنة و مترجميها، كما شرح مقامات الحريري، ودراسة حول أفنية بن مالك؛ أما (ديسامبر) فقد عني بالشعر في

مثلا، ففي القرن السابع عشر صدر سبعة وعشرون كتابا، وفي بداية القرن الثامن عشر أربعة وثمانون كتابا، وبعد ذلك زاد اهتمام الفرنسيين بالشرق بعد ترجمة (جالان) عن ألف ليلة وليلة، بحيث زادت الكتب عن ستمائة كتاب.

وقد عني الفرنسيون بالأدب العربي منذ مطلع القرن الثامن عشر، فبدأوا بجمع المخطوطات، وتأليف الكتب الأدبية وتصنيفها، ومع الاتصال المباشر من خلال حملة نابليون على مصر، واحتلال فرنسا للجزائر ١٨٢٢م، ولتنوس ١٨٨١م، زادت روافد المخطوطات والدراسات، وعمل معظم المستشرقين في الجامعات العربية خصوصا بالجزائر وتونس والمغرب، وفتحوا مراكز ومعاهد فرنسية، تمكنوا من خلالها من الاطلاع عن كُتب على آداب العرب ولغاتهم؛ فألفوا كتبا كثيرة حول الشعر واللغة والنثر والبلاغة، وغير ذلك؛ ففي مجال الشعر، أقاموا دراسات حول دواوين امرئ القيس (ت ٨٠ ق.هـ) وعنترة (ت ٢٢ ق.هـ)، والمنتبي (٢٥٤ هـ) وأبي العلاء، والحلاج (ت ٣٠٩ هـ) وابن الفارض كما كتب المستشرق (لاجرانج ت ١٨٥٩م) بحوثا ومقالات يدافع بها عن محاسن الشعر العربي ودواوين الشعراء . ونشر (بونوت ١٨٨٢م) بحثا عن شعراء العرب وأدبائهم، وقصة عنترة العبيسي، نشره بالمجلة الآسيوية، عدد ١٨٤٦م؛ كما شرح (باسه) قصيدة نهج البردة للبوصيري (ت ٦٩٤ هـ)، وديوان أوس بن حجر، وديوان عروة بن الورد (ت ٥٩٦م). وقد تتوعت دراسات المستشرقين حول الشعر، فدرس البارون دي ساسي معلقة لببدي، وجمع أفضل ما للعرب من

ذلك من المؤسسات والأنشطة.

ولعل أوضح ما يجلي الأمر أن يرتفع الراتب السنوي للمترجم الذي يعمل مع القوات الأمريكية الغازية، في العراق أو أفغانستان إلى ما يربو عن ١٨٠,٠٠٠ دولار أمريكي. وعلى الصعيد نفسه بادر الجيش الإسرائيلي إلى تعليم منتسبيه اللغة العربية الدارجة ليتمكن من التعامل مع العرب وفهمهم، وللاستعانة بها في تجنيد العملاء، والتحقيق مع السجناء والأسرى، بل ذهبت حكومة الكيان الصهيوني إلى ما هو أبعد من ذلك إذ قررت تدريس العربية في مدارسها، معتمدة في ذلك مناهج تخدم مخططاتهم، فتوح بالكيد للعرب والعربية وللإسلام والمسلمين؛ مما يأتي منسجما مع بعض الدعوات الهدامة التي دعا إليها بعض المستشرقين ومريدوهم في النصف الأول من القرن العشرين كاعتماد العامة، والتقليل من شأن العربية ورسمها ونحوها. دراسات المستشرقين في الأدب العربي يمكن القول إن المستشرقين الفرنسيين عامة يتقنون اللغة العربية، فأهلهم هذا لأن يكتبوا ويؤلفوا دراسات عن لغات العرب وأدبهم، منهم شارل بيلا، ويوهان فيك، و بلاشير، و دي ساسيه، ومورسيال، وغيرهم.

ويعود اهتمام الفرنسيين بالأدب العربي إلى القرون الوسطى، زمن الحروب الصليبية حين بدأت حركة الترجمة على يد جيرار الكرموني (ت ١١٨٧م) الذي ترجم كثيرا من أمهات الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية. ويمكن القول إن الكتب التي ظهرت في فرنسا تحدثت عن الشرق قبل القرن التاسع عشر قليلة إذا ما قيست بغيرها من الدول الأوروبية كإسبانيا

الجزائر، وخاصة بمدينة لبيدا. ووضع (مارسه) كتابا حول أصول النثر العربي الفني في العام ١٩٢٧م؛ وفي العام ١٩٤٢م وضع معجما كبيرا جمع فيه اللهجات المغربية ونصوصها وأصواتها . ومن الذين اهتموا بالأدب العربي في المغرب (بروفنسال) الذي نشر كتاب الآداب والآثار المراكشية، نشره معهد الدراسات المغربية العليا (أسس ١٩٢١م) في العام ١٩٢٠م، وكتاب آخر الأعمال الأدبية في المغرب عام ١٩٢١م، وله معجم تطبيقي لعربية القرن العشرين باللغتين العربية والفرنسية نشر بالرباط ١٩٤٢م.

أما جان كانتنو فقد ترك كثيرا من الدراسات عن اللهجات واللغات في البلاد العربية، وخصوصا بلاد الشام، ومن أهمها، كتابه المشهور "دروس في علم أصوات العربية" ترجمه إلى العربية الفرماذي عام ١٩٦٦م، وكتاب "لغة حوران" وقد ذيله بخرائط تبين جغرافية المناطق في العام ١٩٤٦م). وعن الأدب المصري كتب (ليفيفرت ١٩٥٧م) كتابا حول الآداب الشعبية عند المصريين القدماء، وكتابا عن قواعد العربية النصحى في مصر ١٩٤٠م، وله الأصل المصري لإحدى روايات ألف ليلة وليلة ١٩٤٢م، وعن كتب تدريس العربية وضع (ديمومبين) كتابا حول تعليم العربية في فرنسا ١٩٢٢م، وقواعد كتب النحو العربية ١٩٢٧م، وهو أفضل كتب النحو في أوروبا.

ولمسينيون حظ وافر في نشر الثقافة العربية في أوروبا، فقد وضع كثيرا من الكتب والدراسات حول الثقافة العربية وخصوصا الأدبية منها، كما اختص بالصوفية عند الحلاج، فكتب عن آلام

بحثا عن صيغة فعالية في العربية. وعن القصة والأفصوصة في الأدب العربي كتب (بيريس) بحثا نشره في مجلة حوليات معهد الدراسات الشرقية في العام ١٩٢٧م، كما كتب عن أحمد شوقي. وعن مؤلفي القصص العربية، نشره في المجلة نفسها، عدد عام ١٩٢٩م، كما كتب عن العربية العامية في إسبانيا. وعن رواد عصر النهضة العرب فكتب عن الشدياق (ت ١٢٤٥هـ) واليازجي.

وكتب بلاشير كثيرا من الدراسات والأبحاث التي اهتمت بالثقافة العربية في المشرق والمغرب، ومن أهم كتبه تاريخ الأدب العربي ١٩٥٢م، نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم الكيلاني، كما كتب مختارات من العربية الفصحى ١٩٥٢م، وله دراسة نقلها أحمد درويش تتحدث عن التأليف المعجمي عند العرب، ومن أبحاثه "دراسة أدب الأمثال عند العرب"، شرت باربيما عددا لسنة ١٩٥٦م. ومن أهم أعماله دراسته الموسومة بـ "اللحظات الفاصلة في الأدب العربي، تصور جدي للصور الأدبية" نقله إلى العربية أحمد درويش.

أما أندريه ميكيل فقد قام بدراسات عدة عن الأدب العربي منها: نظرة شاملة للأدب العربي، نقلها إلى العربية أحمد درويش، وفيها يتحدث عن المشكلات الأربع التي يطرحها الأدب العربي، وهي: مهمات الكتابة، والأدوار والأهداف المتعلقة بكل من الشعر والنثر، والعلاقات التي تربط الشعر والنثر باللغة وبالأدب وبالمجتمع، وأخيرا مكانة اللغة ذاتها مرورا من الجماعة إلى الأمة، ومن الأمة إلى الدور العالمي. وحول الرواية العربية كتب بحثين يتحدثان عن

الحلاج كتاب شهيد التصوف الإسلامي، وهو في أصله رسالة الدكتوراه التي تقدم بها في السوربون بباريس عام ١٩٢٢م، وتقع في ألف صفحة، كما كتب بحثا عن إخوان الصفا، نشره في مجلة الإسلام التي تصدر من برلين ١٩١٢م، كما كتب عن القرامطة ١٩٢٦م، وعن البيروني رائد العلم العربي ١٩٥١م، وتاريخ العلم عند العرب ١٩٥٧م، وعن الزهد، وعن الكندي، وكتب بحثا عن الزمن والتفكير الإسلامي، ترجمه إلى العربية الأستاذ بركات نشر بمجلة الأديب التي تصدر ببيروت ١٩٥٢م.

ول (فييت) نصيب وافر في نشر الثقافة العربية، فقد اشرف على ترجمة أكثر من خمسة وثلاثين كتابا وتحقيقها ونشرها، كما ألف أكثر من مائتين ما بين مقال وبحث وكتاب، ويغلب عليها كلها طابع مصر الإسلامي قديمها وحديثها، ومن بين ما نشر وكتب: الكتابات العربية في سوريا والعراق ومصر وفلسطين ولبنان ومصر، و مسرد تاريخي للكتابة العربية في مجلدين نشر بالقاهرة عام ١٩٢٩م، كما ألف كتابا بعنوان «مصر العربية من الفتح العربي إلى الفتح العثماني» نشره بباريس ١٩٢٨م، كما ترجم كتاب البلدان لليعقوبي، ١٩٢٧م.

أما كانار، فقد عني بدراسة الحمدانيين خصوصا عهد سيف الدولة الحمداني (ت ٢٥٦هـ) فقتضى عشرين عاما يبحث ويكتب عن حياتهم السياسية والأدبية والاقتصادية، وتوجها أخيرا برسالة دكتوراه موسومة بـ "تاريخ السلالة الحمدانية في سوريا والجزيرة" شملت جميع الأحداث السياسية والاقتصادية والأدبية التي حصلت في عهدهم، نشرتها كلية أدب الجزائر عام ١٩٥١م، كما كتب

الجزائر، وخاصة بمدينة لبيدا. ووضع (مارسه) كتابا حول أصول النثر العربي الفني في العام ١٩٢٧م؛ وفي العام ١٩٤٢م وضع معجما كبيرا جمع فيه اللهجات المغربية ونصوصها وأصواتها . ومن الذين اهتموا بالأدب العربي في المغرب (بروفنسال) الذي نشر كتاب الآداب والآثار المراكشية، نشره معهد الدراسات المغربية العليا (أسس ١٩٢١م) في العام ١٩٢٠م، وكتاب آخر الأعمال الأدبية في المغرب عام ١٩٢١م، وله معجم تطبيقي لعربية القرن العشرين باللغتين العربية والفرنسية نشر بالرباط ١٩٤٢م.

أما جان كانتنو فقد ترك كثيرا من الدراسات عن اللهجات واللغات في البلاد العربية، وخصوصا بلاد الشام، ومن أهمها، كتابه المشهور "دروس في علم أصوات العربية" ترجمه إلى العربية الفرماذي عام ١٩٦٦م، وكتاب "لغة حوران" وقد ذيله بخرائط تبين جغرافية المناطق في العام ١٩٤٦م). وعن الأدب المصري كتب (ليفيفرت ١٩٥٧م) كتابا حول الآداب الشعبية عند المصريين القدماء، وكتابا عن قواعد العربية النصحى في مصر ١٩٤٠م، وله الأصل المصري لإحدى روايات ألف ليلة وليلة ١٩٤٢م، وعن كتب تدريس العربية وضع (ديمومبين) كتابا حول تعليم العربية في فرنسا ١٩٢٢م، وقواعد كتب النحو العربية ١٩٢٧م، وهو أفضل كتب النحو في أوروبا.

ولمسينيون حظ وافر في نشر الثقافة العربية في أوروبا، فقد وضع كثيرا من الكتب والدراسات حول الثقافة العربية وخصوصا الأدبية منها، كما اختص بالصوفية عند الحلاج، فكتب عن آلام

إلى القارئ الغربي فيها الشرق بعاداته وتقاليده وأديانه وشعوبه فكانت نظرتة للشرق أكثر واقعية من غيره الذين كانوا ينظرون إليه على أنه أرض العجائب والفخامة والقصور، وأرض الحكايات الغريبة، فجاءت نظرتهم سلبية، تحمل في طياتها تصورات وأوهاما كثيرة ملؤها الزيف، لتوافق مخيلتهم وترضي أهواءهم، وتصوراتهم.

وقد أثرت هذه القصص المترجمة في المؤلفات الأدبية الأوروبية، منها كتاب (ألف قصة وحكاية وأسطورة) للمستشرق الفرنسي باسيه والحب المحمود، ل(جوان رويس)، والكوميديا الإلهية لدانتي، كما كتب رهبان قصص دينية متأثرة بالدين الإسلامي، منها: رهبان الشرق، الجنة، قصة رهبان جيغون، قصة الأمير.

وفي الحكاية كتب أيسوب حكايات: الدب والحمل، والدبك والثعلب، والدبب والقلق وغيرها إن عملية النقل والترجمة من الأدب العربي إلى الفكر الأوروبي لم تتوقف على قلنتها، بل ظلت متواصلة إلى يومنا هذا، وازدادت بعد أن حصل نجيب محفوظ على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨م. وذلك الفوز أثار قضية الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية، ويمكن القول إن ترجمة أعمال نجيب محفوظ إلى اللغات الأوروبية، لاسيما الفرنسية منها، قد أسهمت في فوزه بالجائزة. وتدرجيا تغيرت نظرة المستشرقين للشرق، وقد أسهمت الروايات العربية التي ترجمتها دور النشر الأوروبية، وترجمة الكثير من الشعر العربي وغيرهم في تغيير كثير من المفاهيم السابقة عن الشرق، وإن ظلت مقتصرة على أعمال يحيى حقي، ويوسف

عصر تقدم فكري واجتماعي وأدبي. وقد بسط سلامة موسى البحث حول النهضة ومفهومها بشكل مفصل في كتابه «ما هي النهضة». لذا سعى العرب إلى اللحاق بالفكر النهضوي الغربي، وكان هذا سببا في نشوء حركة الترجمة من اللغات الغربية إلى العربية، فدعا طه الهاشمي إلى تشكيل لجنة ترجمة ممن لهم اطلاع واسع في اللغات الأوروبية وفي العربية، تكون مهمتها ترجمة الآثار الأجنبية، في حين رأى طه حسين أن الترجمة كفيلا بأن تخلص الأمة من التخلف والجهل.

وقد شكل عصر النهضة الحلقة الأقوى للاتصال بين الشرق والغرب، فتشطت الصحف، وانتشرت الطباعة، والترجمة، وأرسل المبعوثون إلى الغرب، وزاد اهتمام المستشرقين بالشرق، كل ذلك أسهم في تفعيل الصراع الحضاري، الذي انعكس في الأدب والسياسة والثقافة والفكر. وقد شكل المستشرقون العلامة الفارقة في هذا الاتصال؛ لأنهم سبقوا العرب في نقل الثقافة العربية إلى الغرب بترجمة القصص وتأليف الكتب، وإقامة الدراسات المختلفة حول الثقافة العربية، فالترجمة من العربية بدأت في وقت مبكر في القرن الحادي عشر، وخلال ثلاثة قرون ترجم أكثر من ثلاثمائة كتاب من مختلف العلوم العربية، وقد كان القرآن الكريم، وقصص حي بن يقظان، وألف ليلة وليلة، والمقامات باكورة الأعمال التي اهتم بها المستشرقون؛ لأنها تعكس الحياة العربية، فترجموها وأضافوا عليها مفاهيمهم عن الشرق والحياة العربية مما يرضي مخيلة الإنسان الأوروبي. فجالان، وضع مقدمة لترجمة ألف ليلة وليلة، فنقل

الرواية العربية، هما: الرواية العربية المعاصرة، والفن الروائي عند نجيب محفوظ.

وفي هذا القرن صدرت كتابات تتحدث عن تاريخ العرب العام، منها، كتاب (سيديو) "تاريخ العرب العام من العصر الجاهلي حتى سقوط غرناطة"، يتناول فيه تاريخ العرب، وتاريخ دولتهم من العصر الجاهلي إلى نهاية سقوط دولة العرب في الأندلس، وجغرافية دولتهم وحضارتهم ومدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية في الشرق والغرب، وأوضح «سيديو» في كتابه فضل العرب والإسلام على أمم العالم في ميادين العلوم والثقافة والفلسفة والعمارة والأدب، ونوه بشأنهم وقدر آثارهم تقديراً حسناً، وأثنى عليهم على خلاف كثير من المستشرقين الذين تناولوا العرب والمسلمين وتاريخهم، فأداروا ظهورهم للدور الكبير الذي لعبه العرب في الحضارة الإنسانية جمعاء، بقصد نسيان العرب وإنكار ما كان لهم من تأثير في الحضارة الحديثة دام طوال القرون الوسطى.

دراسات المستشرقين حول القصص والروايات العربية الحديثة

بعد عصر النهضة أهم عصور الانفتاح على الغرب، مما كان له الأثر البالغ في تحول الثقافة العربية وعلاقتها بالغرب، فتعدت الرؤى والمقاربات المتعلقة به، خلق تنوعا ثقافيا بعد الانفتاح على الغرب، فالنهضة تعني الطاقة والقوة والثبوتة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره، في حين اتسم عصر النهضة في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر بأنه

الغرب، وتترك أثرا بارزا مهما ساهم في رفع المكانة الثقافية والعلمية والحضارية للغرب.

وقد امتد اهتمام المستشرقين بثقافة الشرق العربي منذ ذلك الوقت حتى العصر الحديث، وهذه الدراسة تلقي الضوء على دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب، دون الوقوف على تحليل الجوانب السلبية، أو التطرق إلى نظرة المستشرقين للشرق بطرفها السلبي والإيجابي، فهي دراسة مسحية تلقي الضوء على المساحة التي أفردتها المستشرقون الفرنسيون للثقافة العربية في ثلاثة محاور: الأول ترجمة المصادر والكتب العربية، والثاني: دراسات عن الأدب العربي، والثالث: ترجمة أعمال أدبية. الترجمة، و الأدب المقارن، وأدب الرحلات، مصطلحات ارتبطت فيما بينها، إذ من الصعب وضع حد فاصل بينها، وقد أدت هذه المصطلحات دورا بارزا في الكشف عن تراث الأمم السابقة وما زالت، كما يعود لها الفضل في ظهور كثير من المصطلحات الأدبية المرتبطة بها، كالتوازي والتقاطع والفرانكفونية والتأثير والتأثر والمتقافة وغيرها، التي أسهمت في تلاقح الثقافات وتلاقيها، مما فتح المجال أمام الدارسين والباحثين الذين كشفوا عن علاقات مهمة ووثيقة بين ثقافات الأمم السابقة والحالية.

وعند الحديث عن الترجمة لا بد أن نتحدث عن الاستشراق والأدب المقارن ودور المستشرقين والرحالة وغيرهم، في تلاقي الثقافات والأمم والأديان والعلوم كافة، فالترجمة حقل معرفي مشترك، يؤدي دور الوسيط بين النص الأصلي

«زقاق المدق» أول روايات نجيب محفوظ المترجمة إلى اللغة الفرنسية في ١٩٧٠، وقد ترجمها (أنطوان كويتن)، وأطلق عليها عنوانا جديدا هو، «زقاق المعجزات» أما رواية «الرص والكلاب» فترجمت في العام ١٩٨٥م. في حين ترجمة روايته «أولاد حارتنا» في العام ١٩٨٨م.

وتعد دار سندباد للنشر أكثر دور النشر اهتماما بنشر الثقافة العربية، فقد أصدرت ما بين ١٩٧٠ - ١٩٨٠، ما يقرب من مائتي كتاب في مختلف علوم اللغة العربية والإسلامية. وقد فتح هذا المجال أمام دور نشر كثيرة لكي تترجم المزيد عن الأدب العربي عامة، ونجيب محفوظ خاصة، فقد ترجمت دار (جان كلود لاتيس) ثلاثية نجيب محفوظ، في العام ١٩٨٧م، وقد طبع منها تسعة آلاف نسخة، أي ما يزيد عن ستة آلاف نسخة عن المعدل العام الذي تطبع للكتاب الواحد، وهذا يدل على مدى اهتمام القارئ الفرنسي للأعمال الأدبية المتميزة. وهي دار تشرف عليها (أوديل كاي)، عنيت بنشر الثقافة العربية على نطاق واسع.

مساهمة المتشرقين في الترجمة

كان للمستشرقين دور بارز في إذكاء روح الترجمة، وإقامة العلاقات بين الشرق والغرب، نتيجة للحروب الصليبية، والتبادل التجاري عبر صقلية، والفتح الإسلامي للأندلس، وامتداد الدولة العثمانية، ففي زمن الحروب الصليبية عرفت أكبر حركة ترجمة في التاريخ على امتداد قرنين من الزمان، نقل فيها معظم التراث العربي وأمها الكتب إلى الغرب مما أتاح للثقافة العربية أن تدخل من باب واسع حضارة

إدريس، والطيب صالح، وتوفيق عياد، ويوسف السباعي، وعبد الرحمن منيف؛ والبياتي وأدونيس، ومحمود درويش، ونزار قباني وغيرهم، وهنا سنتناول أعمال نجيب محفوظ المترجمة، وآراء المستشرقين الفرنسيين ودراساتهم لأدبه.

إن ترجمة روايات نجيب محفوظ قد عكست واقع الرواية العربية، فكانت المثال الذي اتخذته دور النشر الفرنسية عن الأدب العربي الحديث في مجال القصة والرواية، لأن نجيب محفوظ كما يراه اندريه ميكيل قد فجر الإطار الحديث للغة النثر العربية، وقد أضفى من خلال لغة النص صفة العمومية مما أكسبه صفة تجريدية جعلت نسيج وصفه مختلفا اختلافا كبيرا عن غيره من العرب والأوروبيين.

إن جائزة نوبل للأدب التي نالها محفوظ قد دفعت دور نشر كثيرة مثل سندباد، و لاتيس، إلى ترجمة روايات مختلفة له، للتعرف عن كتب إلى العوالم الروائية الفريدة التي صنعها، إضافة إلى إعادة ترجمة ما ترجم سابقا، وهي الروايات التي عنيت بها الأكاديمية السويدية، واعتمدها للتقدم للجائزة، وهذه الروايات هي: ثرثرة فوق النيل، باعتبارها نموذجا للقصة القصيرة المعبرة، وزقاق المدق، و اللص والكلاب، و أولاد حارتنا، وهي رواية اتخذت الإنسان الخالد موضوعا لها .

وكانت (دار سندباد للنشر) ممثلة برئيسها (بيير برنار) المعروف بعلاقته الحميمة مع الكثير من الشخصيات العربية، هي المبادرة لنشر أعمال الروائي الكبير نجيب محفوظ، فكانت روايته

أصبح العالم قرية صغيرة، أمام وسائل الاتصال المختلفة، والترجمة تعد الرابط الأساس بين أمم هذه المعمورة التي تصل كل بيت وأسرة من خلال الفضائيات المختلفة؛ التي تنقل لنا القيم والمعارف المختلفة للأمم والشعوب الأخرى، من خلال الترجمة المباشرة، أو غير المباشرة التي تقوم بها تلك الفضائيات لتسهل على المشاهدين معرفة ما يجري من حولهم في العالم. وتقوم الترجمة بوظائف عدة، منها نقل المعارف والعلوم والنظريات المختلفة، عبر القرون، فهي ليست وليدة الساعة أو اللحظة، إنها عملية قديمة عرفتها الأمم المختلفة على مر العصور؛ لما لها من أهمية ودور بارز في تلاحق الثقافات .

ومع بداية عصر النهضة ازداد الاهتمام بالشرق عامة، وأسهمت مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية في دفع الدراسات الاستشرافية في الدول الأوروبية، كي تتمكن لتشكل منظومة معرفية تسعى لخدمة الغرب في سعيه الدءوب لإخضاع الشعوب المستعمرة، لذا فإن هذه المنظومة لا تعكس حقائق أو وقائع، بل تصور صورة الغرب وهو يتعامل مع الحضارات الأخرى من منظور المركزية الأوروبية وهذا ما عكسته حملة نابليون على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م)، فقدم

المستشرقين معه، هو محاولة لمعرفة ما يكتنزه الشرق من قيم ومفاهيم وثقافات. ومع تطور مفهوم الاستشراق في القرن الثامن عشر، أصبح المستشرقون يتعاملون مع الشرق من زاويتين: سلبية، وهي النظرة القديمة التي كونتها العقليّة الغربية البعيدة عن الشرق، من خلال بعض الرحلات التي كان يقوم بها بعض المستشرقين من أمثال

بثلاث مراحل:

الأولى: من عهد المنصور (أبو جعفر عبد الله بن محمد ت ١٥٥٨) إلى عهد الرشيد (هارون بن محمد بن عبد الله ت ١٩٢هـ) وقد ركزت على الطب وعلم الفلك. الثانية: خلال خلافة المأمون (عبد الله بن هارون الرشيد ت ٢١٨هـ) من بداية ١٩٨هـ حتى بداية القرن الرابع الهجري. الثالثة: في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وقد صنف المترجمون إلى طبقات، وانفتح العرب على الكتب اليونانية بشكل خاص، وترجمت معظم الكتب اليونانية في مختلف العلوم المعرفية.

وقد كان للمستشرقين دور بارز في إذكاء روح الترجمة، وإقامة العلاقات بين الشرق والغرب، من خلال الحروب الصليبية (١٠٩٦ - ١١٨٤م)، والطرق التجارية عبر صقلية، والفتح الإسلامي للأندلس (٥٩٢ - ٨٩٧هـ)، وامتداد الدولة العثمانية (١٢٨٠-١٩٢٢ م)، ففي زمن الحروب الصليبية عرفت أكبر حركة ترجمة في التاريخ على امتداد قرنين من الزمان، نقل بوساطتها معظم التراث العربي وأمّهات الكتب، مما أتاح للثقافة العربية أن تدخل من باب واسع حضارة الغرب، وتترك أثرا بارزا، مما أسهم في رفع المكانة الثقافية والعلمية والحضارية للغرب)، كما ركزت الإرساليات على دور التعليم بنشر الكتب وعمل المطبعات، ونشر المجلات في الناصرة ولبنان.

ومن ثم أصبحت الترجمة تؤدي دورا مهما في الحياة الثقافية العالمية، فهي من ضروريات العمل الأدبي، بل من ضروريات الحياة المعاصرة التي لا يمكن الاستغناء عنها بعد الانفتاح الكبير بين الشعوب، إذ

(لغة المصدر)، وبين اللغة التي ينتقل إليها النص (لغة الهدف) ، وهي أيضا فعل إبداعي، ونشاط لغوي، وضرورة حضارية، وموقف أيديولوجي، تؤطرها كلها طبيعة العلاقات المتبادلة بين مجتمعي النص: المترجم منه والمترجم إليه في لحظة تاريخية معينة.

والمترجمون على اختلافهم، تحكمهم الثقافة والتوجهات الفكرية والقدرة اللغوية، فالمترجم لا بد له من أن تتوافر فيه هذه القدرات المختلفة حتى يستطيع أن يتفهم النص وينقله بأمانة، كما لا بد له أن يتقن لغة النص الأصلي حتى يستطيع أن يتفهم أبعاده وموتيفاته الصغيرة، لكي ينقل أفكاره العميقة بدقة "ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في الترجمة نفسها، في وزن عمله في المعرفة نفسها، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها".

والحديث عن الترجمة حديث قديم جديد، فكل عصر يضيف على المترجم التطورات التي تصيب الأمم، فيطال مجالاتها المعرفية المختلفة، وهذا يعني أن تواجب الترجمة هذه التطورات دون أن تغفل عنها. وقد عرف العرب الترجمة على امتداد عصورهم المختلفة، ففي العهد الأموي اعتنى الأمير (خالد بن يزيد بن معاوية ت ٨٥هـ) بالترجمة والعلوم، فهو بالإضافة لكونه خليفة كان عالم كيمياء، وحاول تحويل بعض المعادن إلى ذهب، كما وضع رسائل عدة في الكيمياء، وفي عهده ترجم كثير من كتب الطب والنجوم والكيمياء عن اليونانية .

وفي العصر العباسي تبوأ الترجمة منزلة رفيعة، بحيث يمكن أن نميزها

إدوارد لين (ت ١٨٧٦م)، وريتشارد بيرتن (ت ١٨٩٠م)، وساسي (ت ١٨٣٨م)، ورينان (ت ١٨٩٢م). وإيجابية كما صورها الدارسون الذين درسوا وأقاموا بالشرق، وعاشوه، كما فعل بلاشير (ت ١٩٧٣م)، وفيشر (ت ١٩٤٩م)، وإيمكيل وغيرهم. أو من أقام بالغرب من العرب، من أمثال رفاة الطهطاوي (رفاة ت ١٨٧٣م)، والمراش الحلبي (فرنسيس فتح الله الحلبي)، فقد كانت باريس بالنسبة لهم مدينة العلم، والمعرفة، والفن، والتطور، فكتبوا الكثير عنها بعد أن أقاموا فيها، وكانوا ممن كتبوا عنها

الترجمة

لم يقتصر الأمر على نشر النصوص العربية بل قاموا أيضاً بترجمة مئات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوروبية كافة، فقد نقلوا إلى لغاتهم الكثير من دواوين الشعر والمعلقات وتاريخ أبي الفداء، وتاريخ الطبري، ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ المماليك للمقريزي، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، والإحياء والمنقذ للغزالي، وغير ذلك من مئات الكتب في اللغة والأدب والتاريخ والعلوم الإسلامية المتعددة، هذا فضلاً عما ترجم في القرون الوسطى من مؤلفات العرب والمسلمين في الفلسفة والطب والفلك وغير ذلك من علوم.

قد سبق أن عرضنا في الفصل السابق أن القرآن قد تمت ترجمته لأول مرة في القرن الثاني عشر. وقد قام المستشرقون منذ ذلك الوقت وحتى الآن بإعداد العديد من ترجمات القرآن إلى اللغات الأوروبية كافة، وقد مهدوا لترجماتهم بمقدمات

وضعوا فيها تصوراتهم عن الإسلام، وبذلك أعطوا للقارئ من بادئ الأمر تصورهم الذي لا يتفق في معظم الأحيان مع الحقائق الإسلامية، بل قد يصطدم مع هذه الحقائق اصطداماً جوهرياً.

وفيما يلي بيان تقريبي بعدد الترجمات المعروفة التي تمت في عدد من اللغات الأوروبية من قبل غير المسلمين:

في اللغة الألمانية ١٤ ترجمة

في اللغة الإنجليزية ١٠ ترجمات

في اللغة الإيطالية ١٠ ترجمات

في اللغة الروسية ١٠ ترجمات

في اللغة الفرنسية ٩ ترجمات

في اللغة الإسبانية ٩ ترجمات

في اللغة اللاتينية ٧ ترجمات

في اللغة الهولندية ٦ ترجمات

المؤلفات الاستشرافية في علوم

القرآن الكريم

(التطور التاريخي للقرآن)، إدوارد سيل، مدراس، الهند، ١٨٩٨م.

(مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن) للمستشرق الألماني جوستاف فايل.

(تاريخ القرآن) للمستشرق الفرنسي "بوتيه".

(تاريخ النص القرآني)، للمستشرق الألماني نولدكه.

(وتاريخ القرآن) للمستشرق الفرنسي "ريجس بلاشير".

(وتاريخ القرآن) للمستشرق الألماني براجشترسر.

(القرآن)، فلهاوزن، مقال بالمجلة الشرقية الألمانية عام ١٩١٣م.

ومن الأبحاث والمؤلفات

الاستشرافية في مجال التفسير

بحث المستشرق الألماني "فيشر" بعنوان: (تفسير القرآن).

وبحث "لريشارد هارتمان" الألماني بعنوان: (تفسير القرآن).

و(القرآن مفسراً) للمستشرق الإنجليزي "أربري".

وبحوث جديدة في نظم القرآن وتفسيره للمستشرق الإنجليزي "هوشفيلد".

ومن اهتمامهم بكتب وتفسير

الفرق المنحرفة ومؤلفاتهم في هذا

الجانب:

كتاب (شرح المعتزلة للقرآن) للمستشرق الإيطالي "جويدي"،

(والقرآن في نظر الإسماعيليين) للمستشرق الروسي "سيمينوف"،

(وتفسير القرآن واللغة الصوفية) للراهب اليسوعي "نوبا".

ويبقى الأكثر شيوعاً في هذا المجال كتاب: مذاهب التفسير الإسلامي للمستشرق المجري جولد تسهير.

وللمستشرق الفرنسي "هنري كوربان" عناية خاصة بتفسير الفرق الباطنية.

والمتتبع لإنتاج المستشرقين في هذا المجال يجدهم يُعلون من شأن التفسير الشاذ الخاص بالفرق المنتسبة للإسلام.

ولا يخفى تمجيدهم للاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن الكريم ومن ذلك كتاب المستشرق الفرنسي "جاك جو

ميه"، (الاتجاه الحديث لتفسير القرآن بمصر).

وكتاب المستشرق الهولندي "يانس" (تفسير القرآن في مصر الحديثة).

وتبقى الموسوعة الاستشراقية الأشمل والأخطر ذات الخمس مجلدات موسوعة القرآن الكريم عن "بريل" والتي صدر منها جزءان من الأجزاء الخمسة المشتملة على ألف مدخل كدراسة نقدية استشراقية للقرآن وعلومه كُتبت بأيدٍ استشراقية واستكثت فيها عدد من العرب والمسلمين المتأثرين بالأفكار الاستشراقية كمحمد أركون الذي كتب مقدمتها.

وللمستشرقين اهتمام بترجمة معاني القرآن الكريم، فكانت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر بدعم من الراهب "بطرس المجل" ومن تلك الترجمات الاستشراقية الأب ماراتشي ١٦٩٨م، ثم تلتها ترجمة المستشرق الألماني

جمع المخطوطات العربية

اهتم المستشرقون منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربية من كل مكان في بلاد الشرق الإسلامي. وكان هذا العمل مبنياً على وعي تام بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل تراثاً غنياً في شتى مجالات العلوم. وكان بعض الحكام في أوروبا يفرضون على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق أن تحضر معها بعض المخطوطات. وقد ساعد الفيض الهائل من المخطوطات المجلوبة من الشرق على تسهيل مهمة الدراسات العربية في أوروبا وتشغيلها. منذ الحملة النابليونية على مصر عام ١٧٩٨م تزايد نفوذ أوروبا في الشرق وساعد ذلك على جلب الكثير من المخطوطات. وكانت الجهات المعنية في

المؤلفات الاستشراقية في التفسير وعلوم القرآن

ما يظهر فيه الطعن وإثارة الشبهات والتشكيك في مصداقية كتاب الله تعالى من عناوين تلك الأبحاث والكتب ومنها على سبيل المثال:

(النصرانية واليهودية في القرآن) للمستشرق الألماني "بومشترك".

(توافق القرآن والإنجيل) للمستشرق الفرنسي "بوستل".

(والكلمات الأجنبية في القرآن) للمستشرق الألماني "فرانكلين".

(التطور التاريخي للقرآن) للمستشرق الإنجليزي "سل".

(وعناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية) للمستشرق المجري "هيللر".

(والتوراة في القرآن) للمستشرق الألماني "فايل".

(وعناصر نصرانية في القرآن) للمستشرق "أرنس".

(والإسرائيليات في القرآن) للمستشرق الأمريكي "فنتكل".

(والأسماء والأعلام اليهودية في القرآن) للمستشرق الألماني "هوروفيتش".

(وطابع الإنجيل في القرآن) للمستشرق "ولكر".

ومن الدراسات الاستشراقية الحديثة للقرآن الكريم وتفسيره دراسات كل من: أندرو روبن، وهاوتنغ، وستيفن ويلد.

ولا ننسى دائرة المعارف الإسلامية التي أصدرها المستشرقون وماتحملة من مواد استشراقية للطعن في كتاب الله تعالى، والتي صدرت بعدة لغات في طبعاتها الأولى عام ١٩١٤م، وفي طبعاتها الثانية عام ١٩٥٤م.

الكتب والأبحاث المتعلقة بالقصص القرآني من المستشرقين

والتي تركز - على حد زعمهم - على الطعن في ربانية كتاب الله تعالى وترديد مزاعمهم بالأثر اليهودي في القصص القرآني، من تلك الكتب:

(مصادر القصص الإسلامية في القرآن) (وقصص الأنبياء)، لسايدر سكاى، باريس، ١٩٢٢م.

(والقصص الكتابي في القرآن)، لسباير جريفنا، ١٩٢٩م.

(قصة أهل الكهف)، عام ١٩٠٧م.

(وقصص القرآن)، للمستشرق المجري بيرنات هيللر (١٨٥٧ - ١٩٤٣م)،

مجلة عالم الإسلام، ١٩٩٤م.

ونجد مؤلفات المستشرقين في هذا المجال منثورة في المعاجم والكتب المهمة بحصر التراث العربي والإسلامي.

وهناك كتابات وأبحاث بفقهاء اللغة العربية، منها كتاب: (الكلمات الأجنبية في القرآن) للمستشرق الألماني "فرانكلين".

وكتب المستشرق الألماني "كارل بيكر"، (قواعد لغة القرآن في دراسات) نولدكة

في مجلة الإسلام عام ١٩١٠م.

ولمارجليوث بحث بعنوان: (نصوص القرآن) في مجلة العالم الإسلامي، ١٩٢٥م.

وتحت عنوان (القرآن)، وردت عدة أبحاث وكتب لعدد من المستشرقين منهم:

فلهاوزن، وياكوب بارت، وكاله، وأرثر جفري، ويبقى الأكثر شيوعاً كتاب:

المستشرق الفرنسي بلاشير: (القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته، تأثيره).

تضم في مجموعها حوالي ٢٦٠٠ صفحة في الفترة من عام ١٩٣٧ إلى عام ١٩٤٢م، ثم أعاد نشر المجلدين الأساسيين في عامي ١٩٤٢م و١٩٤٩م في طبعة أخرى معدلة ليتناسب تعديلهما مع المجلدات الثلاثة التكميلية .

قد حصلت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية إدراكاً منها لأهمية هذا الكتاب لكل باحث عربي حصلت عام ١٩٤٨م على موافقة بروكلمان وإذنه بترجمة الكتاب إلى العربية. وقد بعث بروكلمان إلى الإدارة المذكورة بجزء كتبه بخطه وباللغة العربية يحتوي على تصحيحات وزيادات لغرض إلحاقها بالترجمة. وقد قام الدكتور عبد الحليم النجار رحمه الله بترجمة بعض أجزاء من هذا الكتاب إلى العربية بتكليف من الجامعة العربية، وصدر الجزء الأول منها عام ١٩٥٩م. ووصل ما صدر من أجزاء حتى الآن ستة أجزاء . وكانت الترجمة قد توقفت بعد وفاة الدكتور النجار وصدور الأجزاء الثلاثة الأولى وقد تم تقسيم الكتاب كله إلى ثمانية عشر جزءاً وقامت المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم بتوزيع باقي الأجزاء على مجموعة من الباحثين لترجمتها حتى يتسنى نشر الكتاب كله دفعة واحدة. وقد طلب مني القيام بترجمة الجزء السابع عشر. وكانت المنظمة العربية تستحث الباحثين بين الحين والحين برسائل رسمية لإنجاز هذا العمل. ولكن رياح التيارات السياسية التي اجتاحت المنطقة العربية في السنوات الأخيرة عصفت بهذا العمل النقابي البحث ولم نعد نسمع شيئاً لا من المنظمة العربية صاحبة التكليف بالترجمة ولا من أي جهة

الكريم في القرن السادس عشر، قال عنه الشيخ أمين الخولي بعد أن سمعه أثناء حضوره لمؤتمر المستشرقين الدولي الخامس والعشرين :

لقد قدمت السيدة كراتشكو فسكي بحثاً عن نوادير مخطوطات القرآن في القرن السادس عشر الميلادي. وإنني أشك في أن الكثيرين من أئمة المسلمين يعرفون شيئاً عن هذه المخطوطات. وأظن أن هذه مسألة لا يمكن التساهل في تقديرها وهنا كلمة حق يجب أن تقال وهي أن انتقال هذا العدد الهائل من المخطوطات إلى أوروبا بوسائل شرعية أو غير شرعية قد هيا لها أحدث وسائل الحفظ والعناية الفائقة والفهرسة الدقيقة. وعندما أقول هذا أشعر بالأسى والحسرة لحال المخطوطات النادرة في كثير من بلادنا العربية والإسلامية وما آل إليه حال الكثير منها من التلف والتآكل وصعوبة أو استحالة الاستفادة منها

تاريخ الأدب العربي

من تأليف المستشرق الألماني كارل بروكلمان (توفى ١٩٥٦م) وهو كتاب أساسي في الدراسات العربية والإسلامية لا يستغني عنه باحث في الدراسات العربية والإسلامية، وقد قام بروكلمان بهذا العمل الضخم بمفرده. ولا يقتصر هذا الكتاب على الأدب العربي وفقه اللغة، بل يشمل كل ما كتب باللغة العربية من المدونات الإسلامية. فهو سجل للمصنفات العربية المخطوطات منها والمطبوع . ويكتمل بمعلومات عن حياة المؤلفين. وقد صدر أولاً في مجلدين في عامي ١٨٩٨م، ١٩٠٢م ثم أتبعه المؤلف بثلاثة مجلدات تكميلية كبيرة

أوروبا ترسل مبعوثيها لشراء المخطوطات من الشرق . فعلى سبيل المثال أرسل (فريدريش فيلهلم الرابع) ملك بروسيا (ريتشارد ليبسيوس) إلى مصر عام ١٨٤٢م، و(هينريش بترمان) عام ١٨٥٢م إلى الشرق لشراء مخطوطات شرقية . وقد تم جمع المخطوطات من الشرق بطرق مشروعة وغير مشروعة، وقد لقيت هذه المخطوطات في أوروبا اهتماماً عظيماً، وتم العمل على حفظها وصيانتها من التلف والعناية بها عناية فائقة وفهرستها فهرسة علمية نافعة تصف المخطوط وصفاً دقيقاً، وتشير إلى ما يتضمنه من موضوعات وتذكر اسم المؤلف وتاريخ ميلاده ووفاته وتاريخ تأليف الكتاب أو نسخه .. الخ

بذلك وضعت تحت تصرف الباحثين الراغبين في الاطلاع عليها في مقر وجودها أو طلب تصويرها بلا روتين أو إجراءات معقدة .

وقد قام مثلاً ألوارد Ahlwardt بوضع فهرس للمخطوطات العربية في مكتبة برلين في عشرة مجلدات بلغ فيه الغاية فناً ودقة وشمولاً. وقد صدر هذا الفهرس في نهاية القرن الماضي واشتمل على فهرس لنحو عشرة آلاف مخطوط . وقد قام المستشرقون في الجامعات والمكتبات الأوروبية كافة بفهرسة المخطوطات العربية فهرسة دقيقة، وتقدر المخطوطات العربية الإسلامية في مكتبات أوروبا بعشرات الآلاف ، بل قد يصل عددها إلى مئات الآلاف .

وهناك دراسات للمستشرقين عن هذه المخطوطات في مجالات عديدة وعلى سبيل المثال قامت باحثة من المستشرقين بإعداد بحث عن نوادير مخطوطات القرآن

حتى اليوم بالإضافة إلى العديد من القواميس الصغيرة والكبيرة التي تجمع بين العربية وغيرها من لغات أوروبية مختلفة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من لغات أوروبية أخرى .

وهناك مستشرقون ينفقون سني عمرهم في إعداد مثل هذه المعاجم. وحسبنا أن نشير هنا إلى معجم اللغة العربية القديمة المرتب حسب المصادر، فقد قضى أوجست فيشر [ت ١٩٤٩م] أربعين عاماً في جمعه وتنسيقه، وتعاون معه عدد من المستشرقين .

ونخص بالذكر هنا أيضاً المعجم المفهرس لأنفاظ الحديث الشريف الذي يشمل كتب الحديث الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدرامي وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل. وقد تم نشره في سبعة مجلات ضخمة في الفترة من عام ١٩٣٦م حتى عام ١٩٣٦م . وتفيد من هذا المعجم الجامعات والمعاهد الإسلامية كافة في العالم

المجلات والدوريات

للمستشرقين اليوم من المجلات والدوريات عدد هائل يزيد على ثلاثمائة مجلة متنوعة وبمختلف اللغات نذكر منها على سبيل المثال:

- مجلة العالم الإسلامي أنشأها صمويل زويمرت ١٩٥٢م في بريطانيا سنة ١٩١١م وقد كان زويمر هذا رئيس المبشرين في الشرق الأوسط.
- مجلة عالم الإسلام ظهرت في بطرسبرج عام ١٩١٢م لكنها لم تعمر طويلاً.
- مجلة ينابيع الشرق أصدرها هامر

هذه الدائرة من مأخذ كثيرة فإنها تعد ثمرة من ثمار التعاون العلمي الدولي بين المستشرقين. وقد تم إصدارها في طبعتها الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية في الفترة من ١٩١٣م إلى عام ١٩٢٨م . وقد تولت نقلها إلى العربية لجنة دائرة المعارف الإسلامية من خريجي الجامعة المصرية منذ عام ١٩٢٣م لم تصل في الترجمة إلا إلى حرف العين.. وقد عمد المترجمون إلى نشر تعليمات هامة في أعقاب الكثير من المقالات لتصحيح الخطأ التي وقع فيها المستشرقون، وقام بكتابة هذه التعليمات مجموعة من العلماء المعروفين .

وقد تجاوز المستشرقون فيما بعد هذه الدائرة المتداولة، وقاموا بإصدار دائرة معارف إسلامية جديدة أعيدت فيها كتابة المقالات بناء على ما صدر من بحوث حديثة وما نشر أو اكتشف من مخطوطات . وقد ظهرت الطبعة الجديدة باللغتين الإنجليزية والفرنسية فقط من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٧٧م.

وقد أشار نجيب العقيقي إلى أن اللجنة العربية لترجمة دائرة المعارف ترجع الآن إلى الطبعة الجديدة ابتداءً من حرف العين بدلاً من الرجوع إلى الطبعة القديمة التي تقادمت بعض معلوماتها

المعاجم

للمستشرقين باع طويل في مجال المعاجم والقواميس اللغوية. وقد سبق أن أشرنا إلى إنجاز أول قاموس لاتيني عربي في القرن الثاني عشر الميلادي. ونذكر في هذا الصدد أيضاً المعجم العربي اللاتيني الذي أنهه جورج فيلهلم فرايتاج [ت ١٨٦١م] ذلك المعجم الذي لا يزال يستعمل

أخرى .

ويكفي هنا لتعريف القارئ بقيمة هذا الكتاب أن نورد السطور التالية من مقدمة الدكتور عبد الحليم النجار للكتاب.. والتي وردت في الجزء الأول من الترجمة العربية. يقول رحمة الله في بداية المقدمة :

كان تعريب كتاب تاريخ الأدب العربي (لكارل بروكلمان) أملاً يراود كل قارئ بالعربية حينما يبحث في علوم العرب وأدابهم، أو يحاول سير جهود العلم العربي ومتابعة خطواته في تأسيس ثقافة العالم الجديد وتتمية حضارته، أو يريد حصر ما تشتت واحصاء ما تفرق من تراث الفكر العربي في مكتبات العالم وخزائن الكتب، ليتخذ من ذلك آيات بينات للفخر والاعتزاز، أو عدة ومدد للبعث والإحياء، أو يتطلع أخيراً إلى ما ترجم إلى لغات العالم من ذلك التراث الخالد، وما أثير حوله من بحوث، وصنف من دراسات قدمت خطى العلم والأدب ودفعتهما إلى الأمام في الشرق والغرب .

وقد كان بروكلمان يدرك أن عمله في حاجة مستمرة إلى الإكمال بناء على ما يكتشف من مخطوطات ولذلك كان دائم العناية بإكماله على مدى نصف قرن . ويقوم الآن الباحث التركي المسلم فؤاد سيزكين تلميذ المستشرق الألماني هيلم ريتز بعد اكتشاف آلاف المخطوطات بإكمال عمل بروكلمان وذلك في كتابه (تاريخ التراث العربي) بالألمانية الذي ترجم بعضه إلى العربية، ومنح عليه جائزة الملك فيصل منذ بضع سنوات.

دائرة المعارف الإسلامية

على الرغم مما لنا نحن المسلمين على

برجستال في فيينا من ١٨٠٩ إلى ١٨١٨م.

- مجلة الإسلام ظهرت في باريس عام ١٨٩٥ م ثم خلفتها عام ١٩٠٦م مجلة العالم الإسلامي التي صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب وقد تحولت بعد ذلك إلى مجلة الدراسات الإسلامية.
- في عام ١٩١٠ م ظهرت مجلة الإسلام.

مدارس الاستشراق

١- المدرسة الإيطالية

لا بد من البدء في إيطاليا ذلك أنها مهد الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، فقد كان البابوات هم الذين وجهوا إلى دراسة اللغة العربية، ومن هنا صدر القرار البابوي بإنشاء ستة كراسٍ لتعليم اللغة العربية في باريس ونابولي وسالونيك وغيرها، وقد تعاون مجموعة من نصارى الشام مع الكنيسة الكاثوليكية لنشر الديانة الكاثوليكية في المشرق، وقد بدأ هذا التعاون باتحاد الكنيستين المارونية والكاثوليكية عام ١٥٧٥م، وقام المارونيون بترجمة العديد من كتب اللاهوت إلى اللغة العربية.

واستمر اهتمام إيطاليا بالعالم الإسلامي وظهر مستشرقون في المجالات المختلفة ومن هؤلاء على سبيل المثال المستشرق الأمير كابتاني الذي أصدر مؤلفه الكبير (حوليات الإسلام)، ومنهم أيضاً المستشرق كارلو نيلو الذي درّس الفلك والأدب في جامعة القاهرة

٢- المدرسة الفرنسية

تعد المدرسة الفرنسية من أهم

المدارس الاستشراقية وبخاصة منذ إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة ١٧٩٥م والتي رأسها المستشرق المشهور سلفستر دي ساسي، وكان هذا المستشرق يعد عميد الاستشراق الأوروبي في النصف الأول من القرن التاسع عشر دون منازع.

ونشط الاستشراق الفرنسي قبل الحملة الفرنسية على مصر وبعدها، فقد اصطحب نابليون معه عدداً كبيراً من العلماء في المجالات المختلفة ليحدث هزة انبهار لدى المسلمين وعلماؤهم بالحضارة الغربية، وليزيد في دراسة أوضاع المجتمعات الإسلامية، وقد صدر عن هذه الحملة كتاباً ضخماً بعنوان (وصف مصر) كما إن نفوذ الاستشراق الفرنسي استمر بعد وصول محمد علي سرشمة إلى السلطة حيث بدأت البعثات العلمية في عهده وكانت تحت إشراف المستشرق الفرنسي جومار، وقد أرسلت تركيا وإيران والمغرب الأقصى بعثات مماثلة، ويقول الأستاذ محمد الصباغ في كتابه عن الابتعاث ومخاطره أن السبب في أن أولى البعثات العلمية قد توجهت إلى فرنسا أنها كانت أول الدول الأوروبية التي اتخذت العلمانية منهج حياة، وإن الفساد الأخلاقي كان ينتشر فيها أكثر من غيرها من الدول الأوروبية.

٣- المدرسة الإنجليزية

أنشئت أول أقسام اللغة العربية في الجامعات البريطانية في عامي ١٦٢٢م و١٦٣٦م في جامعتي كمبريدج وأكسفورد على التوالي، وكانت الدراسات العربية الإسلامية يغلب عليها الطابع الفردي، ولكن في هذه الأثناء كانت شركة الهند

الشرقية تعمل جاهدة على إكمال احتلالها للهند ثم تسليمها للحكومة البريطانية، وقد قامت الشركة بإنشاء مراكز استشراقية في الهند لتدريب موظفين يستطيعون التعامل مع أهل البلاد. وأنشئت كذلك جمعيات استشراقية مثل الجمعية البنقالية في أواخر القرن التاسع عشر.

انتشرت المراكز الاستشراقية في بريطانيا وظلت العاصمة لندن خالية من مثل هذا المركز حتى صرح اللورد كيرزن في إحدى جلسات البرلمان الإنجليزي بضرورة إنشاء مثل هذا المركز وأنه من المكونات الضرورية للإمبراطورية، وتأسست مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية عام ١٩١٦م، وانتقل إليه بعض المستشرقين الكبار من أمثال توماس آرنولد والفردي جيوم وغيرهما، واستمرت المدرسة في النمو والازدهار حتى أصبحت المركز الاستشراقي الأول في بريطانيا، بل تنافس أكبر المراكز الاستشراقية في العالم.

٤- المدرسة الهولندية

يعد كتاب الدكتور قاسم السامرائي (الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية) مرجعاً مهماً في دراسة الاستشراق الهولندي فقد ذكر أن الاستشراق الهولندي لا يختلف عن الاستشراق الأوروبي في أنه انطلق مدفوعاً بالروح التصيرية، وأن هولندا كانت تدور في الفلك البابوي الكاثوليكي].

وقد اهتم المستشرقون الهولنديون باللغة العربية ومعالجتها كما اهتموا بتحقيق النصوص العربية، ومما يميز الاستشراق الهولندي وجود مؤسسة برل التي تولت طباعة الموسوعة الإسلامية

٨- المدرسة الروسية

كان الاستشراق قوياً في روسيا منذ عهد بعيد حيث تعود الصلات بين روسيا والعالم الإسلامي إلى زمن الدولة العباسية، حيث تبادلت الدولة الإسلامية السفارات مع روسيا، ولما ضمت روسيا إليها بعض المناطق الإسلامية ازداد الاهتمام بالإسلام والعالم الإسلامي، وقد أفادت روسيا من الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا وبخاصة في فرنسا حيث أوفدت روسيا بعض الباحثين للدراسة في مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس.

وقد قوي الاهتمام بالاستشراق في روسيا في بداية القرن التاسع عشر حينما أنشأت بعض الجامعات الروسية كراساً للغة العربية والإسلام ومن هذه الجامعات جامعة قازان وجامعة موسكو وجامعة بطرسبرج وكلية لازريف وغيرها.

٩- مدارس الاستشراق في العالم**الإسلامي**

حرص الأوروبيون والأمريكيون على إنشاء مراكز للدراسات العربية والإسلامية في العالم الإسلامي لتكون أقرب إلى هذه البلاد ويستخدمها الطلاب والباحثون الغربيون كمراكز للبحث والدراسة ولتعلم اللغات الإسلامية، ولتنشر الثقافة الغربية، وقد بدأ الغرب في إنشاء هذه المراكز منذ القرن التاسع عشر حيث أنشأت البعثات التنصيرية الغربية الكليات والجامعات ومراكز البحوث وفيما يلي بعضها:

- ١- المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة (١٨٨٠م)
- ٢- معهد الدراسات العليا في تونس (١٩٤٥م)

الألمان بالجدية في البحث حتى اصطبغت الدراسات الإسلامية في أوروبا في وقت من الأوقات بالصبغة الألمانية. ويقول في ذلك الدكتور السامرائي "ومع كل هذا فإن المدرسة الألمانية وحدها أظهرت اهتماماً علمياً جاداً بالإسلام في وقت مبكر عن غيرها من المدارس الاستشراقية الأوروبية وذكر أمثلة على هذا الاهتمام بالمخطوطات وبالتاريخ الإسلامي حيث ظهر كتاب مغازي الواقدي وبدأ تحقيق كتاب الطبري، وظهرت جهود بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي.

٧- المدرسة الإسبانية

نشأ الاستشراق الإسباني في أحضان حركة عدائية لكل ما هو عربي ومسلم، وكان هدفها التحقير والانتقام والتشويه، وقد وصف المستعرب الإسباني خوان غويتسولو في كتابه (في الاستشراق الإسباني نماذجاً من هذا النوع حين يكتبون عن الإسلام والمسلمين بقوله إنهم "إنما يكتبون ويتصرفون وينطقون باسم المسيحية في مواجهة حضارة متدنية، وفي أفضل الأحوال، فإن استحضار الماضي المجيد الذي عرفه العالم الإسلامي يدفعهم إلى التفجع على نحو متحذلق على الانحطاط الحالي (انحطاطاً كان في رأيهم محتماً ولا مناص منه) وعلى عجزه الطبيعي عن هضم التقدم الأوروبي" ووصف غويتسولو دراسات المستشرقين الأسبان للغات الإسلامية بأنهم يدرسونها كما لو كانت "لغات حضارات منقرضة، ومقطوعة عن اللغات الحالية التي هي وريثها الشرعي، حاكمين عليها بذلك بأن تشكل عدماً أو ما هو أقل من العدم

ونشرها في طبعتها الأولى والثانية، كما تقوم هذه المؤسسة بطباعة كثير من الكتب حول الإسلام والمسلمين.

٥- المدرسة الأمريكية

نشأ الاستشراق في أوائل القرن التاسع عشر يغلب عليه الطابع الديني، ولكن مع عدم إغفال الأطماع السياسية، فكيف يكون لبريطانيا إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس ولا يكون لأمريكا اهتمامات إمبريالية، واشترك الهدفان وتأسست الجمعية الشرقية عام ١٨٤٠م وأرسلت باحثها إلى العالم العربي الإسلامي، وحرصت بعض الجامعات الأمريكية أن تتال نصيبها من المخطوطات الإسلامية فاشترت جامعة برنستون Princeton كمية من المخطوطات حتى أصبحت تضم ثاني أكبر مجموعة مخطوطات إسلامية.

ونشطت البعثات التنصيرية في بلاد الشام فأسست المدارس والمعاهد العلمية، وفي أواخر القرن التاسع عشر وفي عام ١٨٨٩م (١٣٠٧هـ) وصلت إلى البصرة طلائع البعثة العربية (سميت كذلك تمويهاً) وكانت برئاسة المنصر المشهور صموئيل زويمر، واستمرت هذه البعثة حتى عام ١٢٩٣م-١٩٧٢م

٦- المدرسة الألمانية

اهتم الباحثون الألمان بالدراسات العربية الإسلامية منذ عهد مبكر فقد ثبت أن مارتين لوتر كان من الذين تأثروا بالفكر الإسلامي حينما تمرد على الكنيسة الكاثوليكية في روما، ولكن موقف لوتر كان عدائياً جداً من الإسلام وبخاصة الدولة العثمانية. وقد تميز المستشرقون

ثانوية درس فيها بعض كبار المسؤولين في العالم العربي.
٤- جامعة الشرق الأوسط باسطنبول بتركيا
٥- مدرسة الدراسات الشرقية الأمريكية بالقدس
٦- معهد الدراسات اليمنية في صنعاء باليمن.
ولأمريكا معاهد لتعليم اللغة العربية لموظفي سفاراتها في العالم العربي في كل من تونس وفاس بالمغرب، واليمن وكذلك لإجراء البحوث والدراسات على المجتمعات العربية الإسلامية.

بمصر ودرس بها كثير من أبناء الطبقة الثرية في أنحاء العالم العربي، والتعليم فيها باللغة الإنجليزية. وللسفارة البريطانية في كل بلد مركز ثقافي يتبع المجلس الثقافي البريطاني ويقدم دورات في تعليم اللغة الإنجليزية، ولديهم مكتبة يقضي فيها الشباب أوقات فراغهم، ولا بد أنهم يحتكون ببعض الإنجليز العاملين في هذه المراكز. معهد الدراسات المغربية في تطوان.

الولايات المتحدة الأمريكية

١- الجامعة الأمريكية - بيروت
٢- الجامعة الأمريكية - القاهرة
٢- الكلية الأمريكية ببيروت - وهي مدرسة

٢- معهد الدراسات المغربية - الرباط (١٩٢١م)
٤- المعهد الفرنسي في دمشق (١٩٢٠م)
ويتبع السفارات الفرنسية في أنحاء العالم مراكز ثقافية تقدم دورات في اللغة الفرنسية والحضارة الفرنسية، كما تقدم معلومات عن فرنسا.

بريطانيا

مركز الدراسات العربية في الشرق الأوسط شمالان بلبنان
١- كلية دلهي (١٧٩٢م-١٨١٧م)
٢- كلية فورت-وليام ب كلكتا بالهند (١٧٩٩م-١٨٢٦م)
٢- كلية الملكة فيكتوريا وهي مدرسة ثانوية

قائمة المصادر والمراجع:

- أ.ج. آريبي: المستشرقون البريطانيون، تعريب محمد الدسوقي النويهي، لندن، وليم كولينز، ١٩٤٦.
- إبراهيم خليل أحمد: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، القاهرة، مكتبة الوعي العربي، ١٩٦٤.
- إبراهيم عبد الكريم: الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، الطبعة الأولى، عمان، دار الجليل، ١٩٩٣.
- إبراهيم محمد إبراهيم صقر: الاستشراق والفلسفة الإسلامية بين التجديد والتبديد، الفيوم، دار العلم، ٢٠٠١، ١٧٧ صفحة.
- أبو الحسن عي الحسني الندوي: الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣.
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٦، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٨، (ج ٩)
- أحمد الخميسي: نجيب محفوظ في مرآة الاستشراق السوفييتي، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ٢٠٠٠
- باقر بري: إضاءات على كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد، الطبعة الأولى، بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ١٢٠ صفحة.
- برنار بوتيفو: الشريعة الإسلامية والقانون في المجتمعات العربية، ترجمة فؤاد الدهان، الجيزة، سينا للنشر، ١٩٩٧، ٣٨٤ صفحة.
- برنارد لويس: الغرب والشرق الأوسط، ترجمة نبيل صبحي، القاهرة، دار المختار،
- لفكر العربي، بيروت، ع ٢٢-٢٣، السنة الخامسة، يناير / مارس ١٩٨٣.
- الاستشراق، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة)، ٥ أعداد (١٩٨٧-١٩٩١).
- الحياة اللندنية: "تحولات الاستشراق واختلافات الرؤى والمناهج"، ع ١٢، ١٥٠٥١، جوان ٢٠٠٤.
- لفكر العربي، بيروت، ع ٢٢-٢٣، السنة الخامسة، يناير / مارس ١٩٨٣.
- الاستشراق، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة)، ٥ أعداد (١٩٨٧-١٩٩١)
- الحياة اللندنية: "تحولات الاستشراق واختلافات الرؤى والمناهج"، ع ١٢، ١٥٠٥١، جوان ٢٠٠٤.
- "التراجم الاستشراقية لمعاني القرآن الكريم: حول مشروع ترجمة إسلامية لمعاني القرآن"، مجلة الفرقان، المغرب، العدد ٢٩
- إبراهيم القادري بوتشيش، إشكالية التحقيق الاستشراقي للتراث الأندلسي من خلال نموذج تحقيق ليفي بروفنسال: رسالة الحسية لابن عبدون،
- مجلة كلية الآداب، تطوان، ع ٦، ١٩٩٢، ص ص ١٠٣-١١١.
- إبراهيم محمود: "كيف ينظر المتحف العربي إلى الاستشراق"، المستقبل العربي، س ١٣، ع ١٢٧، يوليو ١٩٩٠.
- أحمد ضرغام: "بعض ملامح الاتجاهات الرئيسية في الاستشراق"، دراسات عربية، ١٩٨٤.